*Research Africa Reviews* Vol. 7 No. 3, December 2023

These reviews may be found on the *RA Reviews* website at:
https://sites.duke.edu/researchafrica/ra-reviews/volume-7-2023/volume-7-issue-3-december-2023/

الشيخ امباك بص: «**سعادة الطلاب في سيرة الشيخ الخديم = أحمد بمب امباكي**»، تحقيق شيخنا بوسو مصطفى، وشريف حسن بوسو كد، وشيخنا بوسو سيد، وصالح جخت آس، وأبو البركة بوسو سيد (سُلَّم الوصول)، منشورات تمبكتو، دكار + القاهرة، 2023.
راجعه الدكتور محمد بمب درامي

**كلمة عن سياق التحقيق:**

منذ بداية العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين (أي من سنة 2010 م )، دخلتِ المريديةُ حقبةً جديدة في حياتها الفكرية. وهي حقبة تصفية التراث المريدي بالتحقيق والتعليق والطباعة والنشر.

ففي هذه الحقبةِ التي لا تزال تَسْتَمِرُّ حُقِّقَتْ ونُشِرَت مصادرُ المريدية، مثل «منن الباقي القديم» لمحمد البشير امباكي (المعارف الجديدة : 2012 م)، و«النفحات المسكية» للعلوي (الرابطة الخديمية : 2015 م)، و«إرواء النديم» للدغاني (الرابطة الخديمية : 2017 م)، و«دليل الحائر » لسرين بار امباك (2023 م) و «من كرامات الشيخ الخديم» (الدار السنغالية للنشر : 2017 م)، و«المجموعة الصغرى» للشيخ الخديم (الرابطة الخديمية : 2018 م). وفي سياق الاستمرار في هذا المسار، حُقِّق مؤخَّرا (يوليوز 2023) أحدُ أقدم النصوص التي تتناول حياة مولانا الشيخ الخديم، وهو النص الموسوم بـ «سعادة الطلاب» ...

**كلمة عن النص المحقق وعن مكانته:**

«سعادة الطلاب» نصٌّ ينتمي لشخصية سَاحَ في بلاد الإسلام، حتى انتهت به السياحةُ إلى هذه البلاد السنغالية، فَوَجَد أَلْسُنَ الناس رطبا بذكر شَيْخٍ من شيوخهم، يثنون عليه ويعظمون شأنَه، فسأل عن حال ذلك الشيخ فأفادوه عنه بأخبارٍ من حكاياتٍ طريفةٍ وسيرة حميدة دوَّنها في هذا النص. وبعد تدوينه لما تلقَّاه من أخبار، صادف في مِصْرٍ أنه يراد طبعُ ديوان قصائد لذلك الشيخ الذي جمع عنه أخبارا، فَرَآى بأن يُلحَق النَّصُّ الذي دوَّنه إلى هذا الديوان ليَعرف القارئ صاحب القصائد.

ولمكانة هذا النص (سعادة الطلاب)، فقد استفاد منه بعضُ أمهات مصادر المريدية مثل «منن الباقي القديم»، و«إرواء النديم». ومع هذه المكانة، فإنَّ هذا النَّصَ ظلَّ دُولَةً بَيْنَ الكاتبين، يَسْتَقُون منه، ويعزونه إلى جهات مختلفة: حينا إلى الشيخ امباكي بُصُ، وحينا آخر إلى الشخصية الموقِّعة: **أحمد المدني**.

**كلمة عن التحقيق:**

وقد ظلتْ نسبةُ الكتاب مُشَكِّكَةً. ولذلك، ووقوفا بين طرفي المتنازعة، لما أراد مؤلفو كتاب «فتح الكبير المتعال» الإحالةَ إلى هذا النص استعملوا عبارة: «المنسوب إلى الشيخ امباكي بص»[1].

ثُمَّ انبرى زمرةٌ من الباحثين المُنضَوِين تحت لواء هيكلٍ يَحْمِل اسم «سُلَّم الوصول گد بُصُ طُوبى» لمحاولة حسم النقاش حول نِسْبَة النَّص، فحققوه وخلصوا إلى تأكيد نسبة النص إلى الشيخ امباكي بص – رضي الله تعالى عنه -.

ولتأكيد ما ذهبوا إليه، ساقوا سبعة من الأدلة، يمكن اختصارها في أربعٍ:

1. أنهم يَرْوُونَ ذلك عن الشيخ محمد قَرِ بُصُ الذي لازم الشيخ امباك بص عشرات السنين.
2. أن المادة التاريخية الدقيقة الموجودة في الكتاب، يرى المحقِّقُون أن مثل ذلك الإلمام بتفاصيل تاريخنا لا يكون من الأجنبي السائح.

[1] فتح الكبير المتعال، هيئة إحياء التراث السنغالي، إصدار مركز تكرور، 2023، 181 (الهامش رقم 1).

3. كون المؤلفين: محمد الأمين جوب، محمد البشير امباك، مفال فال، وسرين مود محمود انيانغ كلِّهم نقلوا عن هذا النص، وعند عزو منقولاتهم إليه يذكرون الشيخ امباك بُصُ باعتباره مُؤلِّفًا للنص الذي نقلوا منه.
4. التشابه الأسلوبي بين هذا النص، وبين نصوص سرين امباكي بص.

ولكل ذلك، فإنهم يقطعون بنسبة النص إلى الشيخ امباكي بص.

ولم يكتف المحققون بنسبة النص إلى جدِّهم، بل ساقوا معلوماتٍ أساسية لم تكن منتشرة في الساحة العلمية حول علاقة الشيخ الخديم - رضي الله تعالى عنه - بالنص، وتلك المعلومات هي:

- أن الشيخ الخديم هو الذي أمر الشيخ امباك بُصُ بتأليف هذا النص.
- أن الشيخ الخديم قرأ النص بعد أن أُلِّفَ، وأقر بجميع ما فيه.
- أن الشيخ الخديم أرسل النص إلى أبي بكر التِّبْر المغربي لكي يُلْحَقَ بِدِيوَانٍ له يُطبَعُ في مصر.

وأهم هذه المعلومات كلها أن الشيخ الخديم **اتفق مع الشيخ امباكي بُصُ على أن يكون النص بالأسلوب الذي هو عليه، وهو الأسلوب الروائي**، بحيث تقمَّص المؤلِّف شخصيةً خيالية (وهو أحمد المدني)، فيروي قصصَ الشيخ الخديم على لسانه (الصفحة 25 - 26).

**إثارةٌ:**

بين ثُنائية إثباتُ النِّسبة للشيخ امباكِّ بُصُ أو نفيه عنه، ألا يمكن التماس مسار ثالث وَسَطٍ؟

دعونا نثير الموضوع من زاوية فُرْجَة غير مسدودة:

**ألا يمكن أن يكون الشيخ امباكي بص اكتفى فقط بوضع الأصل الذي يحتوي تلك المعلوماتِ المفصَّلة الدقيقة عن السنغال وعن أصول الشيخ الخديم، وأن شخصا اسمه «أحمد المدني» أخذ ذلك النص وطوره فَنَتَج عنه هذا الذي بين أيدينا اليوم؟**

هذا الاحتمال يجد مستندا شرعيا على عبارة سيدي بوسو مولاي، جامع كتاب "مجموعة من كتابات العلامة الشيخ امباكي بص"، في تعليق له داخل المجموعة حيث يقول: "هذه النبذة الجميلة (إشارة إلى نص «سعادة الطلاب») من سيرة الشيخ الخديم التي طُبعت في مصر سنة 1344هـ / 1926م مع مجموعة من مؤلفات الشيخ الخديم **وَضَع أصلها الشيخ امباكي بوسو** ...".

نلاحظ بأن سيدي مولاي بُصُ لم يَقُل – عن قصد أو عن غير قصد – «ألَّفه»، ولا «وَضَعه»، وإنما قال «**وضع أصله**». ولكل كلمة حُمولتها الدلالية!

ومما قد يرجِّح هذا الرأيَ أيضا، ما قالته شخصية «عبد الله المدني» : «هذا، وليعلم الواقف على هذا المرقوم، من أرباب العلوم والفهوم، في سآئر أقطار الإسلام من أي إقليم، أن العبد الحقير السائح في بلاد الله تعالى **وقف على ترجمة صاحب هذه القصائد** الغرر ...».

فشخصية «عبد الله المدني» تُثبت عن نفسها أنها وقفت على نصِّ ترجمةٍ، ألا يكون تلك الترجمة المشار إليها هي التي تُعدُّ **الأصل** الذي بُنِيَ عليه نصُّ سعادة الطلاب الموجود بين أيدينا اليوم ؟!...

في وجه هذه الأسئلة، يبدو أنَّ المحقِّقين لم يتركوا مندوحةً للتفسُّح في حَيِّز الإمكان، ولا للانسراح داخل الفُرَج غير المسدودة. فكأنهم استعجلوا طيَّ بساط النقاش:

فأكدوا نسبة النص إلى الشيخ امباكي بص– رضي الله عنه -

ونَفَوْا نفيا قاطعا أن يكون لأحد آخر أَثَرٌ في هذا النَّص سوى الشيخ امباكي بُصُ.

ونَفَوْا أن يكون «المدني»، صاحب التوقيع، قد وُجِدَ أصلا!

فأغلقوا باب البحث، وكبروا على الموضوع أربعا، ظنا منهم أنه قتل بحثا!

ختاما، إن حقبة تصفية التُّراث المُريدي لم تلفظ أنفاسها الأخيرة، وحول كل هذا التراث المُريدي الذي يُنشَر في الظرف الحالي جولاتٌ قادمة مع الأجيال الصاعدة، وستأتي بعدنا أجيالٌ أخرى تَنْبِشُ، فتَكتَشِفُ، وتَبُثُّ خفايا كانت خافيةً علينا وعلى من قبلنا ...

وإن كان الجُهد الذي بُذل في تحقيق نص «سعادة الطلاب» يستحق كلَّ الشكر، فإن الأسئلة العالقة أيضا تستحق أن تعالج

وللأجيال القادمة كلمتهم ...

**Research Africa**
Copyright © 2023 by Research Africa, (research_africa-editor@duke.edu), all rights reserved. RA allows for the copy and redistribution of the material in any medium or format, provided that full and accurate credit is given to the author, the date of publication, and the location of the review on the RA website. You may not distribute the modified material. RA reserves the right to withdraw permission for republication of individual reviews at any time and for any specific case. For any other proposed uses, contact RA's Editor-in-Chief. The opinions represented in the reviews and published on the RA Reviews website are not necessarily those held by RA and its Review editorial team.
**ISSN 2575-6990.**